Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« التنوير » يكون باستيعاب للتجربة التراثية والإنطلاق منها في فهم الحاضر المعيوش للانتقال إلى « نور » الآتي[1] . ولكن ، ليس « التنوير » عملاً يصعب تحقيقه إلا بالتوجه نحو وافد أجنبي ؛ وهو ليس كذلك مهمة لا يمكن إنجازها إلا بالإلتفات نحو تراث ذاتي . إنه ممارسة حياتية هي ، في الواقع ، قدر إنساني لا يمكن إلا الدخول معه في « لعبة » التحدي . ولذا ، فإن كل « اكتشاف » تقدمه بقعة ضوء حضارية ، أياً كان مصدرها ، هو ترقب لعملية تمهد للانتقال إلى بقعة ضوء أخرى .

من هنا ، عندما يكون الحديث عن « عصر تنوير عربي » ، يضحي المقصود مناقشة أساسية للوجود الإنساني العربي بمفهومه الحضاري . غير أن مراجعة يسيرة لتاريخ فعل الوجود العربي ، وهي مثل أية مراجعة لأي فعل وجود إنساني آخر ، تُظْهِرُ للباحث أن هناك أزمنة معينة كانت قوة الشَّد فيها تُعْلِنُ غَلَبَ « قطب التنوير » على « قطب العتمة » . والعكس أيضاً صحيح . ولعل نتائج هذا الفعل هي ما اتفق مؤرخو الحضارة العربية على اعتماده في وسم أزمنة معينة بالجهل والانحطاط أو بالوعي والنهضة . والوجود العربي ، مثل أي وجود إنساني آخر ، هو هذا المُبْحِرُ الدائم على مركب الرحلة إلى « الأفضل اللامتناهي » . وفي رحلته هذه لا بد للإنسان من التناغم المستمر مع حركة المركب المتأرجحة أبداً بين قوة شد « القطبين » الأساسيين . ولعل في هذا ما يُصَوِّرُ التأرجح الدائم للإنسان بين أزمنة التنوير وأزمنة العتمة . ولعل هذا ما يفسر أيضاً محاولة الإنسان المستمرة للبقاء في مقدمة المركب مع فجر النور ، والابتعاد عن مؤخرته ، حيث كهف العتمة ؛ واستعانته بكل الأمور التي يراها ـ من موقعه الآني ـ قادرة على تحقيق هدفه . فاللحظة الآنية ، في بعدها الحضاري ، هي منطلق قرار « الخطوة التالية » لمسيرة الإنسان . والإنسان ، بالتالي ، هو الذي يقوم بتنفيذ هذه الخطوة متحملاً كل نتائجها سلباً كانت أم إيجاباً : فقد تأتي الخطوة نحو « قطب التنوير » خطوة ناقصة ، ويصبح المرء أقرب إلى « قطب العتمة » .

تأتي تجربة جبر ضومط (١٨٥٩ ـ ١٩٣٠) في هذا المجال نموذجاً لدراسة